

أضواء البيان

@ 58 أ نَطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أ نَطَقَ كُلُّ شَيْءٍ { ، وتقدم تفصيل ذلك عند أول سورة الحشر ، لأن [أودع في الجمادات القدرة على الإدراك والنطق ، والمراد بإخبارها أنها تخبر عن أعمال كل إنسان عليها في حال حياته . . .]
ومما يشهد لهذا المعنى حديث المؤذن (لا يسمع صوته حجر ولا مدر إلا وشهد له يوم القيامة) ، وذكر ابن جرير وجهاً آخر ، وهو أن إخبارها هو ما أخرجته من أثقالها بوحى [لها]
والأول أظهر لأنه يثبت معنى جديداً . ويشهد له الحديث الصحيح . { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ }
في هاتين الآيتين مبحثان أحدهما في معنى من لعمومه ، والآخر في صيغة يعمل . . .
أما الأول فهو مطروق في جميع كتب التفسير على حد قولهم : من للعموم المسلم والكافر ،
مع أن الكافر لا يرى من عمل الخير شيئاً ، لقوله تعالى : { وَوَقَدْ مَنَّآ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَخْرِقُوا أَسْمَانَهُمْ فَمَا يَتَّخِذُونَهَا حِجَابًا وَمَا يَخْبَوْنَ اللَّهَ الَّذِي يَخْلُقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } ، وفي حق المسلم ، قد لا يرى كل ما عمل من شر ، لقوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ يَشْرِكْ بِهِ } . . .
وقد بحث الشيخ رحمة [تعالى علينا وعليه هذه المسألة بتوسع في دفع إيهام الاضطراب بما يغني عن إيراده . . .]
أما المبحث الثاني فلم أر من تناوله بالبحث ، وهو في صيغة يعمل ، لأنها صيغة مضارع ، وهي للحال والاستقبال . . .
والمقام في هذا السياق { يَوْمَ مَثُورِ النَّاسِ أَشْتَاتًا } ، وهو يوم البعث ، وليس هناك مجال للعمل ، وكان مقتضى السياق أن يقال : فمن عمل مثقال ذرة خيراً يره . ولكن الصيغة هنا صيغة مضارع ، والمقام ليس مقام عمل ، ولكن في السياق ما يدل على أن المراد يعمل مثقال ذرة أي من الصنفين ما كان من ذلك ، لقوله تعالى { يَوْمَ مَثُورِ النَّاسِ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ } ، فهم إنما يروا في ذلك اليوم أعمالهم التي عملوها من قبل ، فتكون صيغة المضارع هنا من باب الالتفات ، حيث كان السياق أولاً من أول